وجهة نظر الإسلام والأديان السماوية عن الصابئة

عبدالرضا مزرعه
طالب دكتوراه في قسم علوم القرآن والحديث، بجامعة آزاد الإسلامية، فرع خرم آباد
abdolreza.mazraeh98@gmail.com
يداله ملكي
أستاذ مساعد في قسم علوم القرآن والحديث، بجامعة آزاد الإسلامية، فرع خرم آباد، (الكاتب المسئول)
maleki@khoiau.ac.ir
جعفر تابان
أستاذ مساعد في قسم علوم القرآن والحديث، بجامعة شهيد محلاتي، قم، إيران
taban@qom.ac.ir

The viewpoint of the Islam and heavenly religions about the Sabians

Abdolreza Mazraeh
PhD student , Faculty of Quran and Hadith Sciences in Azad university branch of Khorramabad , Iran
Yadolah Maleki (Corresponding Author)
Assistant Professor , Faculty of Quran and Hadith Sciences in Azad university branch of Khorramabad , Iran
Jafar Taban
Assistant Professor, Faculty of Quran and Hadith Sciences in Shahid Mahallati university of Qom , Iran

الملخّص:

نظرًا إلى أنّ الصابئة المندائية تقيم في مناطق خوزستان من إيران وفي بلاد العراق منذ زمن بعيد وأنّ عملهم يرتكز في بيع وتجارة الذهب، وفي المشاريع التجاريَّة المهمة الأخرى ومن جهة أخرى أنّ هناك فرقًا دينية مختلفة مسلمة وغير مسلمة توجد في هذين البلدين ترتبط معها ارتباطَ تعامل وتبادل، نظرًا لذلك كله فالغرض من هذه الدراسة التي تبنَّت المنهج الوصفي- التحليلي وارتكزت في طريقة جمع موادها ومحتوياتها على الطريقة المكتبية، هو التوصل إلى معرفة الحقيقة الدينية لهذه الديانة والحكم الشرعي عند المسلمين عن أصحاب هذه الطائفة. وإن كانت بعض المقالات العلمية أو الكتب أشارت في وقت سابق و بصورة متفرقة إلى وحدانية دين الصابئة وأنهم أ من أهل الكتاب أم لا إلا أنّ البحث الحاضر يجمع آراء جمهور الفقهاء والمفكرين والمفسرين والعلماء والمؤرخين المسلمين عن معرفة ديانتهم فضلاً عن ما نشير إليه من كلمات لبعض المفكرين من اليهود والنصارى حول الصابئة وتوحيدهم الله تعالى.

اختلف الفقهاء والمؤرخون المسلمون حول الصابئة في أن يكون أصحاب هذه الديانة من أهل الكتاب أو شبه الكتاب. واختلفوا أيضًا حول جواز أخذ الجزية منهم. فقد كان فقهاء الشافعية أشد تعارضًا معهم؛ بينما نري لفقهاء الحنفيين والشيعة فتاوى وآراء إيجابية عنهم اعتمادًا على ما ورد في القرآن الكريم بخصوص الصابئة وبالتالي الاعتراف بالمندائية كديانة لها حق بالحماية من قبل المسلمين والعيش بينهم بحرية وأمان.

الكلمات المفتاحية: الصابئة المندائية، الأديان السماوية، أهل الذمة، أخذ الجزية.

Abstract:-

Due to the existence of Mandaeans in parts of Khuzestan in Iran and Iraq from ancient times, whose activities are mainly focused on trading and selling gold and important economic projects, on the other hand, the existence of different religions in relation to them, the purpose of this study is to get acquainted with the ruling of Islam and the views of Sunni and Shiite jurists and scholars, and briefly some thinkers of Judaism and Christianity about the monotheism of the Sabians and how to collect information is library method and descriptive-analytical study, achieving an accurate knowledge about of the religious truth and the sharia law of the followers of this nation; although scholarly articles and books designate to the monotheism of the Sabean religion by scattered references, in terms of those possessing bibles, but the present study reflects the prevailing views of Muslim jurists, thinkers, commentators, scholars and historians of Islam as well as the theories of Jewish and Christian thinkers about the monotheism of the Sabians.

The views of Muslim jurists and historians were also expressed, who had many disagreements about whether those possessing bibles or pseudo- possessing bibles, as well as taking Jizyah. Shafi'i jurists were most opposed to this people; Hanafi and Shiite jurists, on the other hand, have had positive views regarding what has been said about this people in the Holy Qur'an, to the extent that they consider and recognized this religion as a religions that has the right to support Muslims and to live freely and peacefully among them.

Key words: Sabian Mandaeans , Celestial religions , those possessing bibles , taking Jizyah.

١ـ المقدّمة:ـ

إنّ الدّين الإسلامي يؤمن بالتّسامح والتّعايش السلميين مع الأديان الأخرى سواء أكان أصحابها من أهل الكتاب أم لم يكونوا، وتعد الدّيانة الصابئية من الدّيانات القديمة حسب ما ذكره المفسّرون في كتبهم. ديانة الصابئة ديانة مسالمة وغير تبشيرية، لا يمكن دخول معتنق جديد لها، شعارها اللون الأبيض وتحترم جميع رسل الله وتدعو لوحدانية الله، فهي أول ديانة موحّدة ولها كتابها السماوي وأنبياؤها السبعة المعروفون ومبجّلة لدى كل الأديان السماوية. إختلف المسلمون في ديانة الصابئة أ أصحابها من أهل الكتاب أم لا، منهم من قال إنّهم من أهل الكتاب ويجوز أخذ الجزية منهم بإعتبارهم من أهل الذمة وتنطبق عليهم جميع شروط أهل الذمة، ومنهم من قال إنّهم ليسوا من أهل الكتاب فلا يجوز أخذ الجزية منهم.

يعتقد العلماء أنّ الصابئة تكون على طائفتين: الصابئة الحرانيين أو الوثنيين الذين يعبدون الكواكب وقد أتخذوا إسم الصابئة بعد أن خيَّرهم الخليفة عبدالله المأمون بين الإسلام أو الإلتحاق بدين من أديان أهل الكتاب فاختاروا الدّين الصّابئي وهم المسمّون في الكتب بالوثنية (الأشعري، ١٣٦٠ش، ص ١١٢) والصابئة المندائيين أو الحقيقيين وهم مخالفون للحرانية عائبون مذاهبهم لا يوافقونهم إلا في أشياء قليلة حتى أنهم يتوجهون في الصلاة إلى جهة القطب الشمالي والحرانية إلى جهة القطب الجنوبي (بيروني، د. ت: ٢٠٦؛ طباطبائي، ١٣٧٥ ق: ١/١٩٥/١٩٦). ومن المحتمل أنَّ الطقس المتمثل في "التعميد" أو "الإغتسال في المياه" والذي يعد من الطقوس المشتركة بين "الصابئة" و"النَّصاري" جرَّ مؤرِّخين مسلمين كالبلاذري نحو الخلط بين أبناء الدّيانتين ولذا اعتقدوا أنّ الصابئة فريق من النصاري. أيضًا حالات الخلط هذه قد إمتدت إلى العصور التاريخية الحديثة، فمثلا المستعمرون البرتغاليون عند إستيلائهم على البصرة وجنوب العراق بين العامين ١٦٢٢-١٦٠٠ الميلادي إعتبروا المندائيين طائفة من المبتدعين في الدّين والمهرطقين (سباهي، ٢٠٠٨م:١٠؛ العربستاني، ١٣٨٧ ش: ٣٤) بعد ذلك إلى القرن التاسع عشر للميلاد كان يُطلق عليهم اسم "النصاري اليحيائية" (كورت، ١٩٩٤ م: ١). لذلك إلى الآن تعرضوا عدة مرات من قبل سائر الأديان للأذي والتنكيل لإجبارهم على تغيير دينهم. ففي القرن السابع عشر مثلا أراد البرتغاليون إنضمامهم إلى كنيسة الكاثوليك فلذا قاموا بجمعهم مع الجنود

البرتغاليين وأحياناً كانوا يجبرونهم على إقامة مراسم الكنيسة الكاثوليكية ولو بالتهديد والتعذيب. وكان من أعنف الأعمال التي تعرضوا لها هي الختان الإجباري للرجال والنساء المندائيين لغرض تغيير دينهم بالغصب إلى الإسلام بأمر أحد زعماء قبائل العرب (دراوور، ١٩٣٧ م: ١٥؛ كريلينك، ١٩٢٩م). في زمن القاجاريَّة تعرضوا أيضًا للأذي والتعذيب وفي سنة ١٣٥٧هـ. ش. وبعد إنتصار الثورة الإسلامية في إيران وبسبب عدم إدراج ديانة الصابئة في الدستور الإيراني جنباً إلى جنب الأديان المقبولة كالمسيحيَّة واليهوديَّة والمجوسيَّة (الزارتشتيَّة) وهي الأديان التي يعبَّر عنها في الكتب الفقهية الإسلامية بأهل الكتاب وأتباعها بأتباع المنهج القويم، واجه الصابئة كثيراً من المشاكل من الناحية الإجتماعية إلى أن أصدر سماحة آية الله السيد على الخامنئي فتوى إعتبر فيها الصابئين من أهل الكتاب وهذا الأمر صار سببًا للإنفراج عنهم في إقامة مراسمهم الدينية ومناسباتهم الإجتماعية (الخامنئي، ١٣٥٧ش: س٣٢١).

أمّا وفقاً لبعض المؤلفين فيمكن أن يُعزى سبب هذا التشابه إلى إقامة الصابئة في منطقة الخليج الفارسي ووجودهم أنهم كانوا في طريق شعوب مرّوا من هناك على مدى عصور فكان يتردّد أبناؤها على ذلك الإقليم أو يقيمون فيه، وقد تردد عليه من قديم الزمن هنود وفرس وطورانيون وعرب وسريان وفينيقيون، فليس بالعجيب أن تعلق بعقيدة الصابئة القدامي مسحة من كل ملة على طول الزمن وتتابع العهود (العقاد، ٢٠١٢ م: ٩٠-٨٦).

وفي الحقيقة فإنَّ الصابئة المندائيين يرفضون عبادة الكواكب وعندما نشر المؤلف عبدالرزاق الحسني كتابا عن الصابئة المندائيين معتبراً إياهم عبدة كواكب، أثار ذلك حفيظة رجال الصابئين و قدم الشيخ دخيل كبير الصابئين في العراق إلى بغداد يحمل معه كتابهم المقدس الكنز العظيم كنزاربا يتلو منه أمام المحكمة بوجود مترجم يترجم أمام الشهود من السفر المقدس نصّاً يرفض عبادة الكواكب ويظهر أنهم يعبدون الله الواحد الأحد (فهيد، ٢٠١٧م: تقرير ٢٠١٧/٨/١٦).

ومع الأسف بعد عدة سنوات في بعض المدن بسبب عدم الإعتراف بالصَّابئة المندائية كديانة، حتى لم يستطيعوا تسجيل ديانة أطفالهم وإصدار شهادة ميلادهم في سجلات دائرة الأحوال المدنية (العساف، ٢٠١٨م: موقع المندائيون في الأردن https://ammannet.net).

الغريب في الأمر أنَّ الصَّابئة المندائيين يقطنون في بيئة إسلامية متمثلة في جنوب العراق،

وجنوب إيران منذ آلاف السنين، ومع ذلك وقع فيهم كل هذا الغموض والإختلاف في الأقوال. وهذا ما يؤكد الرأي الذي ملنا إليه من كون هذه الديانة ذات طابع باطني. و يذكر رشيد الخيون في كتابه الأديان والمذاهب: "... ولم ينته الأمر عند الفقهاء القدماء، بل تواتر إلى المعاصرين رغم كثرة الدراسات وتبدّل أحوال المعرفة، إلاّ أنهم ظلّوا يجهلون أمر الصابئة (الخيون، ٢٠١٥: ١٧٧) بداية من صاحب أكبر موسوعة فقهية (جواهر الكلام) النجفي من أعلام القرن التاسع عشر، وانتهاءاً بالفقهاء المعاصرين. فما عدا فتوى السيد الخوئي، ورسالة آية الله السيد الخامنئي لم نجد شيئاً مفيداً حول التعامل مع أهل هذا الدين".

٢- خلفيّة البحث

الشاوراني (١٣٩١ش) وهو شافعي المذهب، في دراسة "پژوهشي در فرقه صابئين" عن طائفة الصابئة، بعد أن بادر بجمع آراء المفكرين والعلماء في تقسيم الصابئة إلى مندائيين وحرانيين، درس في موجز آراء الفقهاء من السنة والشيعة على أساس المصادر القرآنية والتفسيرية والفقهية والتاريخية حول هذه الديانة.

يشير الخيون (٢٠١٥ م) في الفصل الأول من كتابه "المندائيون في فقه وتاريخ الإسلام" إلى آراء الفقهاء الإسلاميين من المتقدمين والمتأخرين وفي الفصل الثاني من هذا الكتاب يروي روايات من المؤرخين عن منشأ الصابئة المندائيين وعقائدهم بالله تعالى وبالرسل وأنّ بعضهم وهم الحرانيون يقومون بتعظيم الكواكب دون أن تكون له وجهة نظر تحليلية في بيان المواد التاريخية، لكنّه يصل إلى اعتراف ضمني وصريح بالدِّين المندائي متمركزاً على الفقه والتاريخ الإسلامي.

لقد إعتبر الإلهامي (١٣٧٩ ش) في كتابه "تحقيقي درباره صابئين" حسب بحثه في الآيات وبيان أقوال المفسرين وأعلام اللغة مستنداً على اصول وثوابت فقهية وفلسفية من الشريعة الإسلامية أنّ الصابئة من أهل الكتاب وهم كسائر الأديان السماوية لهم نبي وشريعة. لم يذكر الإلهامي في هذا الكتاب وجهة نظر الأديان الأخرى من المسيح واليهود حول الصابئة المندائيين.

لقد كشف فروزنده الباحث (١٣٧٧ش) في الفصل الثالث من كتابه "التحقيق في ديانة الصابئة المندائية" عن هدف بيان تاريخ وثقافة ومعتقدات الصابئة المندائية كما أشار إلى آراء المؤرخين والمفكرين الإسلاميين القدامى دون ذكر إلى نظريات فقهاء وعلماء الدين

الإسلامي. لقد بيَّن فروزنده أنّ كل التقارير التي كتبها المؤرخون والمتكلمون الإسلاميون لا يحكي أي واحد منها عن الواقع الصحيح لهؤلاء القوم لأنّ هذه البيانات كلها هي مبنية عمومًا على السماعيات لا غير.

السيد الخامنئي (١٩٩٩م) في كتابه "الصابئة و حكمهم الشرعي و حقيقتهم الدينيَّة" في تحليله ونقده على نظريات بعض فقهاء الإسلام وعلى أساس تفسيره لآيات القرآن أظهر أنهم يؤمنون بالله عزَّوجل ويعتقدون بالتوحيد ولهم فصل مخصوص في كتبهم باسم "بوثة التوحيد" ويعتقدون بالنبوة والكتب المقدسة والملائكة والجنة والنَّار والدعاء ويعتقدون بـ"منداديهي" أي الربّ تعالى ويذكرون آدم أبا البشر ويحيى عليه السلام في عداد الملائكة وأيضا في كتبهم توجد بعض الأباطيل التي لابد أنّها ترجع إلى تحريف كما هو معروف عن بعض الأديان الإلهية المحرفة وفي الأخير إعترف بأنَّنا لا نعرف شيئاً من المعارف والأحكام الدينية لهذه النحلة التاريخية بسبب غموضها.

ومن الكتب الأجنبية التي تشير إلى البحث حول ديانة الصابئة وتاريخ الأديان نشير إلى كتاب "منـدائيان" من جورون جاكوبسن باكلي (٢٠٠٢ م) الذي درس فيه حياة وديانة المندائيين المعاصرين في إيران والعراق ونيويورك وسان دييغو. في هذا الكتاب، بعد مناقشة تزامن ظهور هذه الطائفة الغنوصية مع المسيحية، يبحث في العلاقة بين المندائيين القدامى والمسيحيين الأوائل.

ذكر ريجارد توماس (٢٠٠٧ م) في مقالة " الجذور الفلسطينية للشعب المندائي" أنّ الصابئين هم أناس مؤمنون وهم السلف من العرفاء القدامى وقد نشأوا من اليهود أو غيرهم قبل النصارى ولهم دينهم وأنبياؤهم الخاصة. في هذه المقالة، لا توجد وجهة نظر من الإسلام عن أصحاب هذه الديانة.

٣- آراء الإسلام حول الصابئة

إنّ أول وأكمل وثيقة إسلامية ذُكر فيها اسم الصَّابئة هو الكتاب السَّماوي للمسلمين؛ القرآن الكريم. وقد ورد ذكر الصَّابئة في القرآن الكريم مع أهل الملل في ثلاثة مواضع:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/٦٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (المائدة/٦٩).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج/١٧).

الآية الأولى نزلت على نبينا محمد ﷺ تاييداً على صحّة إجتهاد وعبادة أصحاب سلمان الفارسي الذي اسمه الحقيقي "مايه بن بوذخشبان بن ده ديره" (الطَّبري، ١٩٦٦ م: ٢/١٢) وهو كان من المندائيين (الواحدي، ١٩٨٥م: ٢٣-٢٢) ولا يقصد فيها المجوسية التي كانت منتشرة في بلاد إيران، حيث إنحدار سلمان، والمجوس لم يذكروا إلا في سورة "الحج" (ابن عبد البر،١٩٩٢ م: ٦٣٦). أيضًا الآية التالية ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران/٦٧) التي تشير إلى مندائية إبراهيم الخليل، تثبت حنفية هذه الديانة.

بناءاً على ما جاء قد يستنتج من هذه الآيات أنَّ المقصود بالصابئين فيها هم المندائيون، لإندراج الحرانيين تحت الذين أشركوا وإلاستنتاج هو استقبال الرسول ﷺ أولاً لوفد المندائيين الذين عرضوا عليه دينهم وأخبروه بما في كتبهم، وثانيًا إعطاؤه الأمان لهم وإيصاؤه بهم خيراً فقد يروي عنه أنه قال: سنّوا بهم سنة أهل الكتاب (زيدان، ١٩٧٦م: ١٥-١٣) وثالثًا تمييز المسلمين بينهم وبين المشركين في المعاملة وإجماع فقهائهم على إعتبارهم من أهل الذمة رغم إختلافهم في إعتبارهم هل هم من أهل الكتاب أم لا؟ وجدير بالذكر أنَّ الصحابي سعد بن أبي وقاص كان قد وعدهم بالأمن والأمان حين دخل العراق (فهيد، ٢٠١٧م: تقرير ٢٠١٧/٨/١٦).

يستدل بعض العلماء لعدم الاعتراف بالصابئة من أهل الكتاب برواية من النبي ﷺ جاءت في صحيح البخاري وما صححه الترمذي، قائلاً: "لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً" وفي مسند من أهل السنة الذي رواه أحمد عن

عائشة قائلة: "آخر ما عهد رسول الله ﷺ: لا يترك بجزيرة العرب دينان" (الشوكاني،١٩٩٣م: ٨/٢٢٢). حسب هذه الرواية يعتقدون أنّ الصابئة ليست من أهل الذمة عندما يتعلق الأمر بإخراج النصاري واليهود من بلاد الإسلام، فكيف لا يدخل دين مثل الصابئة التي ذكرت في سياق باقي الأديان في الآيات السابقة ولا يشملها هذا الحديث عن رسول الله، بينما معرفة ديانة النصاري واليهود وكونهما من أهل الكتاب أوضح من الصابئة ولتشجيع الأمر عند الشيعه يروون رواية من الإمام على عليه السلام قائلاً: "قال رسول الله ﷺ: يا على، إن أنت ولّيت الأمر بعدي فأخرج أهل نجران من جزيرة العرب" (القرطبي، ٢٠٠٦م: ٣٧٤ و٣٧٣). أولاً الواقع يقول غير هذا، بل حتى الرسول ﷺ نفسه عندما أخرج اليهود من المدينة أخرجهم إلى خيبر فقط وثانياً حسب الروايات كان هناك غير المسلمين موجودين في ممالك الإسلام يعيشون مع المسلمين حسب ما رواه البخاري ومن هنا نفهم أنّ هذه الروايات أن "أخرجوا" لا يفهم على عمومه، بل يستثني منه أصحاب العهد والأمان أهل الذمة ومعني الإخراج من إعتدي من أهل الذمة على المسلمين أو نقض عهده وثالثاً في السنوات الأولى من رسالة النبي محمد ﷺ، تقابل النبي مع زعماء دول العالم ودعاهم إلى دين الإسلام حيث كتب رسالة إلى أسقف نجران ودعا أسقف نجران التي كانت في ذلك الوقت الأرض المسيحية الوحيدة في الحجاز، إلى الإسلام. جاء في الرسالة: "بسم رب إبراهيم وإسحق ويعقوب. هذه رسالة من محمد نبي الله إلى أسقف نجران. الحمد لربٍ إبراهيم وإسحق ويعقوب، وأدعوك إلى عبادة الله من عبادة عبيدك. أدعوكم إلى الدخول في ولاية الله. إذا لم تقبلوا دعوتي (على الأقل) فعليكم دفع الضرائب (الجزية) للحكومة الإسلامية، وإلا فسيتم تحذيركم". الرواية التي عرفت بحديث المباهلة وتكرر ذكرها في كتب الشيعة و السنة (الألوسي،د. ت: ٣/١٦٧؛ الواحدي النيسابوري، ١٤١٩ق: ٧/١٢٠؛ بن حنبل،١٩٩٦م: ١/١٨٥؛ الطَّبري، ١٩٦٦ م: ٣/١٩٢). من هذه الرواية نستفيد إعتراف الرسول ﷺ أنّ المسيحيين من أهل الكتاب، وإذا لم يقبلوا الإسلام طلب الجزية منهم وهذا الأمر لا يثبت إخراجهم من أرض المسلمين وهذا الأمر يخالف أقوال العلماء الذين يستندون برواية عن النبي في إخراج غير المسلمين وعدم أخذ الجزية منهم ومن الآيات المذكورة أعلاه التي نزلت على النبي ﷺ. والمراد بجزيرة العرب خلاف وتفصيل ينظر في مصطلح "أرض العرب"، وأما في خارج الجزيرة العربية من سائر بلاد الإسلام فقد إختلف في إقرار الصابئة فيها على

أقوال. فذهب أبوحنيفة إلى جواز إقرارهم فيها وأخذ الجزية منهم بناءاً على أنهم نصارى، وأنّ تعظيمهم للكواكب ليس من باب العبادة لها.

٣-١ آراء فقهاء الإسلام حول ديانة الصابئة

أنّ أول ذكر لها ولمستقرٍّ أتباعها الجغرافي في الحقل التدويني للتاريخ الإسلامي جاء في النصوص من القرن الثالث الهجري. ففقهاء المسلمين لم يصدروا حكماً موحَّداً مشتركاً في حق الطَّائفة المندائية لأنها مسألة إجتهادية في الفقه الإسلامي وتبدو طبيعية. معظم المفسرين والفقهاء صرحوا بنسخ الإسلام للأديان الأخرى بما فيها أهل الكتاب، حسب الآية: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران/٨٥).

٣-١-١ آراء فقهاء الشيعة

وأمّا معظم فقهاء الشيعة، ولا سيما أسلافهم، فلا يعتبرون الصابئة من أهل الكتاب ولا يعتبرون إلا اليهود والنصارى والمجوس أهل الكتاب، وبالمقابل يرى بعض الفقهاء أنّ الصابئة هم أهل الكتاب لكن هذه المجموعة من الأقلية. يقول الشيخ مفيد يختلف الفقهاء السنة في كفر وإيمان الصابئة أسلافهم ومعاصريهم بإستثناء المجموعات الثلاث من اليهود والمسيحيين والمجوس فأمَّا نحن فلا نتجاوز بإيجاب الجزية إلى غير من عدَّدناه؛ لسنَّة رسول الله فيهم والتوقيف الوارد عنه في أحكامهم (الشيخ مفيد، ١٤١٠ه: ٥٠٨ -٢٧٠). كما يقول الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ ق) إنَّ الديانات الأخرى مثل المشركين والصابئة وغيرهم لا تخضع للجزية (الطوسي،١٤٠٠ ق: ٤٥٧) وأيضًا إنَّ الصابئة لا تؤخذ منهم الجزية ولا يقرُّون على دينهم (الطوسي،١٤٠٧ ق: ٥/٥٤٢). ويميل إلى هذا الرأي صاحب جواهر الكلام الشيخ محمد حسن النجفي وخلص في الختام إلى عدم توافق فقهائنا على هذه المسألة. لأنَّ ابن جنيد كما رواه صاحب الجواهر جعلهم في مرتبة المنافقين ورأيه في تحقيق الإجماع، ومن جهة أخرى فتاوى الفقهاء بعدم أخذ الجزية منهم ودعوتهم بالمجوس. وفي مثل هذه الحالات لا يتم التوصل إلى توافق في الآراء (النجفي،١٤٣٠ق: ٢١/٢٣٠). قال الطبرسي عند تفسير الآية ٦٢ من سورة البقرة "يقول الفقهاء بأجمعهم أخذ الجزية من الصابئة ولكن لا تجوز عندنا لأنهم ليسوا من أهل الكتاب (الطبرسي،٢٠٠٦م: ١/٢٤٩؛ القمي، ١٣٦٣ش: ١/٤٨)

كما مذكور عن الإمام الرضا عليه السلام في تفسير القمي: "الصابئون قوم لا مجوس ولا يهود ولا نصاري ولا مسلمون وهم يعبدون النجوم والكواكب" وقال أيضاً عليه السلام: "والصابئين الذين زعموا أنهم صبوا إلى دين الله وهم كاذبون قال القمي إنهم ليسوا من أهل الكتاب ولكنهم يعبدون الكواكب والنجوم"(القمي، ١٣٦٣ش: ١/٤٨).

وقال المفسر والفيلسوف الكبير محمد حسين الطباطبائي: "ذكرهم مع أهل الأديان يدل على أنهم كانوا يدينون بدين سماوي وذكرهم إلى جانب المؤمنين واليهود والنصاري يدل على أنهم كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر (منسوب إلى الصابئة المندائيين) والعلاَّمة الطباطبائي نقل بدوره في تفسير الميزان حكاية عبد المسيح بن إسحاق الكندي عنهم، فقال: ما نسبه إلى بعض من تفسير الصابئة بالمذهب الممتزج من المجوسية واليهودية مع أشياء من الحرانية هو الأوفق بما في الآية. كما أنه أشار سماحته عند سورة الحج الآية ١٧ أنّ الصابئين ليس المراد بهم عبدة الكواكب من الوثنية بدليل ما في الآية من المقابلة بينهم وبين الذين أشركوا بل هم على ما قيل قوم متوسطون بين اليهودية والمجوسية ولهم كتاب ينسبونه إلى يحيي بن زكريا النبي ويسمي الواحد منهم اليوم عند العامة صبي (الطباطبائي، ١٣٨٣ش: ١٤/٣٥٨/٣٥٩ و ١/١٩٣؛ الكاشاني، ١٣٧٣ش: ١/١٣٨). كما أنَّ أول محدِّث ميَّز بين الصابئة الحرانية والمندائية فهو صاحب كتاب "تفسير الميزان" محمد حسين الطَّباطبائي فقال عن الصابئة: "إنَّ عقيدتهم مزيج من المجوسية واليهودية، مع أشياء من الحرانية ويؤكد أنَّ أسباب نزول الآية ٦٢ من سورة البقرة هي تشير إلى ديانة سلمان الفارسي السابقة" (الخيون، ٢٠١٥م: ١٧٨).

عن الإمام الخميني (ره) والشيخ بهجت: الصابئة الذين ينسبون أنفسهم إلى يحيى أهل الكتاب، هم نجس (الطباطبائي، ١٤١٧ق: ١/٢٥٤).

الأعلام العظام التبريزي والخامنئي وفاضل والسيستاني ونوري ووحيد الخراساني أصدروا فتوي بأنَّ الصابئة أهل كتاب وطاهرون (آية الله الخامنئي، أجوبة الاستفتاءات، س ٣١٣؛ آية الله السيستاني، آية الله التبريزي، آية الله فاضل، توضيح المسائل مراجع، م١٠٦؛ آية الله نوري، استفتاءات، ١/٣٨؛ آية الله وحيد، توضيح المسائل، م ١٠٨)، و حسب الآية ٦٢ من سورة البقرة تؤخذ الجزية من أهل الكتاب وبذلك يرتفع عنهم القتال

والإستعباد، ويقرون على دينهم، ويسمح لهم بالسكنى في دار الإسلام آمنين على أنفسهم وأموالهم، ولكن الأحوط لزومًا الترك مطلقاً ولا تقبل الجزية من غيرهم كسائر الكفار بلا خلاف، فإنَّ عليهم أن يقبلوا الدعوة الإسلامية أو يقتلوا، وتدل عليه غير واحدة من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ. . .﴾ (محمد/٤).

يقول الشيخ مكارم شيرازي: "لم يثبت أنهم من أهل الكتاب. لكن العلاقة الجيدة مع أي شخص غير معاد للإسلام شيء جيد، خاصة إذا كانت تجعله يرغب في إعتناق الإسلام؛ لكن يصعب أن يأكل أو يشرب معهم، إلا إذا لزم الأمر"، وقال أيضًا في تفسيره الأمثل: يبدو مما سبق أنَّ هؤلاء كانوا قوم إبراهيم الخليل وأتباع يحيى بن زكريا الذي يسميه المسيحيون يوحنا المعمد (مكارم شيرازي، ١٠٦م)، يصومون شهر رمضان ويستقبلون في صلواتهم الكعبة ويعظمون مكة ويرون الحج إليها ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويحرمون من القرابات في النكاح ما يحرم المسلمون. وأيضاً أشار سماحته في تفسير آية ٦٩ من سورة المائدة، إنَّ المؤمنين من المسلمين وكذلك اليهود والنصاري والصابئين بشرط أن يؤمنوا ويتقبلوا الإسلام ويعملوا صالحًا سيكونون جميعًا من الناجين وأنَّ ماضيهم الديني لن يكون له أي أثر في هذا الجانب وإنَّ الطريق مفتوح للجميع (مكارم شيرازي، ١٣٧٩ش: ١/٢٥٧، ٨/٣٧٤، ٣/٥٩٣).

أما الشيخ محمد جواد مغنية فقد قال عنهم: إنهم أقدم الأديان ويقرُّون بالله وبالمعاد وببعض الأنبياء، ولكنهم يهتدون بتأثير النجوم في الخير والشر والصحة والمرض (مغنية، ١٩٦٨م: ١/١١٧). كما أكّد على توحيدهم آية الله السيِّدعلي الخامنئي وقال: "من جملة عقائدهم التي يدعونها ويصرون عليها هي التوحيد وأيضًا عندهم زمرة من الأباطيل المنافية للعقيدة التوحيدية (الخامنئي، ١٩٩٩م: ٤٢-٤٠)

يقول السيد حسين فضل الله: "هناك من يذهب بأنَّ أهل الكتاب ليس المراد به خصوص اليهود والنصارى بل كل من له كتاب سماوي بالأصل ولو إنحرف عنه بعد ذلك، ولذا ألحق بعضهم المجوس بهم، وآخر الصابئة. ولعل الأولى الاقتصار على القدر المتيقن وهم اليهود والنصارى ولا سيَّما في مسألة الزواج من نسائهن، ومع ذلك فإنا نرى طهارة كل إنسان (محمد حسين فضل الله، ١٠٦ م).

قال السيد الخوئي في المتأمل في سياق سورة الحج آية ١٧ والبقرة آية ٦٢ والتدبر في مداليلها هو الحكم بكون الصابئة من أهل الكتاب، حالهم في ذلك حال اليهود والنصارى والمجوس، فإنهم قرنوا في الآيتين الأولى والثانية بأهل الكتاب، وجعلوا في عداد الذين لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، إذا ما أخلصوا في دينهم وعملوا بما يفرضه عليهم الواجب الشرعي في ذلك الظرف، فإنَّ ذلك يدلُّ وبوضوح على كونهم من أهل الكتاب وأصحاب الرسالات السماوية، خصوصاً أنهم واليهود والنصارى والمجوس جعلوا في قبال الذين أشركوا في آية ١٧ من سورة الحج (الخوئي، ١٤١٠هـ: ٢٠٣-٢/١٩٦).

٣-٢ آراء فقهاء أبناء العامة السنة

٣-٢-١ آراء فقهاء الشافعيين

ذكرت فتوى قتل الصابئة في القرن الرابع الهجري في مصادر إسلامية: "عندما إستشار القاهر بالله العباسي المحتسب و الفقيه الشافعي، أبا سعيد الأصطخري والذي يعرف بفقيه العراق وهو كان من أبرز فقهاء عصره، ثم أفتاه بقتلهم لأنهم يخالفون اليهود والنَّصاري ويعبدون الكواكب، حتى جمع منهم مالاً كثيراً وكفَّ عنهم (الخطيب البغدادي، د. ت: ٧/٢٦٩/٢٧٠). و بعد حوالي قرنين من الزمان أفتى محمد بن يحيى بن فضلان الشافعي (٦٣١هـ) في الحث على تطبيق فتوي الإصطخري، اليوم لا تؤخذ منهم جزية وهم في حكم المسلمين و الأمر الأعلي (ابن الفوطي، ١٣٥١ ه، ص ٧٠).

تعليقًا على ذلك نقول لا يمكن للصابئة أن يكونوا عبدة الكواكب و في كتابهم الكنزاربا اليمين ورد: "باسم الحي العظيم، أشرق نور الحي، و تجلى منادهيي بأنواره، فأضاء جميع الأكوان، حطم ألوهية الكواكب، و أزال أسيادها من مواقعهم" ولا يمكن أن يكونوا عبدة الأصنام وجاء في كتابهم: "من يقدم الضحايا والقرابين تعقد خطاه في جبل الظلام فلا يري نور الله، أما من آمن واتقي فله من النور مرتقي حتى يبلغ بلد النور".

يقول أبو على الماروردي (٤٥٠هـ): "إذا وافقوا اليهود والنصاري في أصل معتقدهم، وإن خالفوه في فروعه" وهو يشترط في أخذ الجزية منهم (الماروردي، ٢٠١٠م: ١٤٣).

تعليقًا على ذلك؛ إنَّ هذا الحكم يخالف القرآن أيضًا لأنَّ القرآن لم يشترط موافقتهم

لدين آخر وهذا يدل على موافقة ومقاربة الصابئة المندائيين بالإسلام أكثر من تقارنه مع اليهود والنصاري. ومن ناحية أخرى أخذ الماروردي والأصطخري كفقهاء شافعيين الجزية من أهل البحرين الذين هم كانوا مجوسًا!

محمود الألوسي (ت ١٨٥٤) الذي يتوسط بين الفقه الشافعي والحنفي قال: "هم موحِّدون يعتقدون تأثير النجوم"(ابن قيم الجوزية،١٩٦١م:٩٩ -١/٩٧).

قال النووي: "إن خالفوا النصارى في دينهم فليسوا منهم وإلا فهم منهم كما إنه جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السَّلام إنه لم يعتبرهم من أهل الكتاب (ابن الرفعة،١٩٧١ م: ١٧/١٠).

و أمَّا قول الشافعي الذي صححه ابن قدامة من الحنابلة فقد تردد فيهم وقال ما عدا يؤمنون بالإنجيل فهم من النصاري ولو خالفوا وكفروهم فليسوا منهم وهذا التردد في أمر الصابئة عند الشافعي إنما هو في الصابئة المشابهة للنصاري أي المندائيون. كما أنه جاء عن الشافعي: أنهم إن وافقوا اليهود والنصاري في أصول دينهم، من تصديق الرسل والإيمان بالكتب كانوا منهم، وإن خالفوهم في أصول دينهم لم يكونوا منهم، وكان حكمهم عبدة الأوثان، فلذا يري الشافعي وغيره أنَّ أهل الكتاب عندهم فقط اليهود والنصاري وفي قول ثالث أيضاً نسب إليه أنه اتخذ منهم موقفًا وسطاً إذ وضع الصابئة والمجوس في مرتبة غير مرتبة اليهود والنصاري وقال بأخذ الجزية منهم و لم يجوِّز مؤاكلتهم والزواج منهم (فهيد، ٢٠١٧م: تقرير ٢٠١٧/٨/١٦).

وجاء أيضا عن محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) أنه أفتي في قول آخر له: "الصابئون والسامرة مثلهم يؤخذ من جميعهم الجزية، ولا تؤخذ الجزية من أهل الأوثان، ولا ممن عبد ما أستحسن من غير أهل الكتاب" (الشافعي،١٩٩٣م: ٢٩٣).

٣-٢-٢ آراء فقهاء الحنفيين

في القرن الثاني الهجري الفقيه الحنفي أبو يوسف حكم بأنَّ الصابئة ليسوا عبّاد الأوثان بل يعظمون النجوم كما نعظّم الكعبة (الألوسي، د. ت: ٢٧٩) و أجاز أخذ الجزية من الصابئة المندائيين أسوة بـ"جميع أهل الشرك من المجوس وعبدة الأوثان وعبدة النيران

والحجارة والسامرة" (أبو يوسف، ١٩٧٩م: ١٢٨).

فذهب أبوحنفية إلى أنهم من أهل الكتاب كاليهود والنصارى وجوز مآكلهم ومشاربهم والزواج من نسائهم (فهيد، ٢٠١٧م: تقرير ٢٠١٧/٨/١٦).

كما اعتبرهم الأوزاعي بين اليهود والنصاري وقال: "كل دين بعد دين الإسلام سوى اليهودية والنصرانية فهو مجوسية، وحكم أهله حكم المجوس" (الشيخ مفيد، ١٤١٠ه:١/٢٧٠)

وقال الحسن البصري إنهم بمنزلة المجوس وقال أيضًا إنهم كالمجوس يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة الصلوات الخمس (زيدان، ١٩٨٢م: ١٥-١٣).

٣-٢-٣ آراء فقهاء الحنبليين

في قول لإبن حنبل (١٦٤-٢٦١ ه) وهو أحد وجهين عنى الشافعية: "أنهم جنس من النصاري وفي قول آخر نسب إلى أحمد بن حنبل أنهم من النصارى واليهود، فلذا ذهب فقهاء الحنبلية وبينهم ابن قيم الجوزية على أنهم من أهل الذمة (فهيد، ٢٠١٧م:تقرير ٢٠١٧/٨/١٦). عن ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) تلميذ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد المعروف بابن تيمية (٧٢٦هـ) وهو من فقهاء الحنبليين كبير في مذهبه، قال: "الصابئة أحسن حالاً من المجوس، فأخذ الجزية من المجوس تنبيه على أخذها من الصابئة بطريق أولى، فإنَّ المجوس من أخبث الأمم ديناً و مذهباً، ولا يتمسكون بكتاب، ولا ينتمون إلى ملة، ولا يثبت لهم كتاب ولا شبه كتاب"، وهذا بشكل اعتراف ضمني للصابئة أنهم يكونوا من أهل الكتاب وشبه الكتاب (ابن قيم الجوزية،١٩٦١م:٩٩ -١/٩٧). وفي قول ابن تيمية بعد تفريق الصابئة على طائفتين الصابئة المندائية الذين هم يقولون "لا إله إلا الله" فقط وليس لهم كتاب ولا نبي و م يكونوا كفاراً والصابئة الحرانية الذين يعبدون الملائكة، ويقرأون الزبور ويصلون فهم يعبدون الروحانيات العلوية، صرَّح بقوله "من دان من الصابئة بدين أهل الكتاب فهو من أهل الكتاب، ومن لم يدن بدين أهل الكتاب فهو مشرك ومثالهم من يعبد الكواكب. كمن كانوا بأرض حرّان عندما أدركهم الإسلام وهؤلاء لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم وإن أظهروا الإيمان بالنبيين" (الجهني، ١٤٢٠هـ: ٢٠).

٣-٢-٤ آراء فقهاء المالكيين

فقال مالك بن أنس: "كل دين بعد دين الإسلام سوى اليهودية والنصرانية فهو مجوسية، وحكم أهله حكم المجوس" (الشيخ مفيد، ١٤١٠هـ: ١/٢٧٠).

وهناك قول آخر لمالك بن أنس وأتباعه: "أنهم من أهل الكتاب كاليهود والنصارى وجوَّزوا مآكلهم ومشاربهم والزواج من نسائهم" (فهيد، ٢٠١٧م: تقرير ٢٠١٧/٨/١٦).

وقد جاء من كتاب أبي عيسى المغربي وهو محدّث وفقيه مالكي: "أمة السريان هي أقدم الأمم وملتهم هي ملة الصابئين وهم أخذوا دينهم عن شيث و إدريس وعندهم كتاب يعزونه إلى شيث ويسمونه صحف شيث يذكر فيه محاسن الأخلاق كالصدق والتعصب والشجاعة ويذكر الرذائل ويأمر بإجتنابها وللصابئين عبادات كالصلاة والصوم ولهم أعياد خاصة أيضًا. ويعظمون بيت مكه ولهم بظاهر حرَّان مكان يحجونه ويعظمون أهرام مصر لأنهم يظنون أنَّ أحدها قبر شيث بن آدم والآخر قبر إدريس وهو أخنوخ والآخر قبر صابئ بن إدريس ويعظمون الأبراج وعندهم دخول الشمس من أفخر وأعظم الأعياد (ابن الوردي، ١٤١٦ق: ٧٠-٦٩).

٤- أقوال المؤرخين والعلماء القدامي والمعاصرين من المسلمين السنة والشيعة حول الصابئة

قد جمع ابن الجوزي وجهات نظر علماء المسلمين بصورة مجملة عنهم في عبارات عشر:

١. أنهم قوم بين النَّصاري والمجوس. ٢. قوم بين اليهود والنَّصاري. ٣. فئة من النَّصاري إلا أنَّ كلامهم كان ألطف. ٤. طائفة من المشركين لا كتاب لهم. ٥. يشبهون المجوس. ٦. فرقة من أهل كتاب يتلون الزَّبور. ٧. طائفة ليست من أهل الكتاب. ٨. فرقة تصلي نحو القبلة وتعبد الملائكة وتتلو الزَّبور. ٩. يقولون لا إله إلا الله إلا أنهم لا يؤدّون الواجبات. ١٠. لا كتاب لهم ولا نبي، بيد أنهم يرددون لا إله إلا الله (ابن الجوزي، ١٤٢٤ق: ٦٨).

عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الذي يعرف بالصنعاني (١٢٦- ٢١١هـ) في كتابه

"المصنف في الحديث" يقول: "الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ويقرأون الزبور؛ وعن مجاهد قال: الصابئون بين المجوس واليهود ليس لهم دين؛ وعنه أيضاً قال: سئل ابن عباس عن الصابئين فقال: "هم قوم بين اليهود والنصاري لا تحل ذبائحهم ولا مناكحهم" (الصنعايي، ٢٠١٥ م: ٤١٢). وقال أبو العالية والضحّاك: "الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزبور وأيضاً قال أبو جعفر الرازي بلغني أنّ الصَّابئين قوم يعبدون الملائكة ويقرأون الزبور ويصلُّون وسئل وهب بْنُ مُنَبِّه -مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة- عن الصابئين فقال: الَّذي يعرف اللَّه وحده، وليست له شريعة يعمل بها، ولم يحدث كفراً (الصابوني، ١٩٩٣م: ٢/١٤٦؛ إبن كثير، ١٩٩٢م: ١/١٨٩).

قال المؤرخ الكبير عبدالرزاق الحسني: أنَّ دين الصابئة المعاصرين ليس وثنياً بأي حال من الأحوال بل هو دين يؤمن بالله الحي الأزلي و باليوم الآخر وذلك بعد تدقيق ودراية اطلاع وقال أيضا إنهم يعظمون الله الخالق جلَّ شأنه فهو واحد أزلي أبدي لا أول لوجوده ولا نهاية له وإنه لم يلد ولم يولد وهو علة وجود الأشياء ومكونها. لا يختلف إعتقادهم في الخالق عن إعتقاد المؤمنين به (بدوي و الرومي، ٢٠٠٦م: ١٣).

وقال المسعودي في التنبيه والإشراف إذ كان دينهم موحداً كما أشرنا وحصل اعتناق المجوسية من بعد التوحيد (بدوي و الرومي، ٢٠٠٦م، ص ١٠). وقال الخوارزمي: "الصابئون فرقة من النصارى والحرانيون مشركون وعبدة الأوثان وأشار إلى يوذاسف وهرمس أنّهما من أنبيائهم (الخوارزمي، ١٣٦٨ش: ٣٨).

سمي المؤرخ الشهير إبن النديم (ت ٤٣٨ ه) هذه الطائفة بالمندائية المغتسلة وقال: "هم على مذاهب النبط القديم، يعظمون النجوم، ولهم أمثلة وأصنام، وهم عامة الصابئة المعروفين بالحرانيين، وقيل إنهم غيرهم جملة وتفصيلاً" (إبن النديم، ١٩٨٨م: ٤٠٣). والظاهر ابن النديم جاء يخلط بين الحرانيين والمندائيين على الرغم من أنه نقل قصة في كتابة حول وجه التسمية للحرانيين (إبن النديم، ١٩٨٨م: ٣٨٩).

عباس محمود العقاد قال: إنَّ الصابئة على ملة النبي إبراهيم الخليل عليه السلام ومن أمرهم أنهم يرجعون إلى أصل قديم لأنَّ إستقلالهم باللغة الدينية والكتابة الأبجدية لم تنشأ في عصر حديث وقال لا يعرف دين من الأديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهة له في إحدي

الشعائر. أيضاً من هنا كانت دراسة الصابئين مهمة في دراسة الأديان على العموم ودراسة النبي إبراهيم الخليل على وجه الخصوص وكان لها في ذلك شأن لا يتناسب وعددها القليل وعزلتها التي فرضتها عليها أحداث الزمان (العقاد، ٢٠١٢م: ١٠٨ و ١١٥).

يشير البيروني مؤلف العرب المشهور عن الصابئة المندائيين، يقدّم تقريراً في كتابه الذي يقول فيه إنهم يعتقدون بالوحدانية، يصفون الله منزهاً عن كل باطل و يقولون إنه غير محدود، غير مرئي، لا يخطئ و ليس ظالما و يسمونه بالأسماء الحسني و الوصف الحقيقي له غير مسموح به دينياً وهم يعزون حكم العالم للكون السماوي الذي يعتبرون أن يوجد فيه كائنات حية تسمع وتتكلم وأيضاً النَّار عندها اعتبار أثناء طقوسهم. وتعاليمهم بشأن المرأة والعقوبات شبيهة بتعاليم المسلمين أما التعاليم عن النجاسة لدى مس الميت فشبيهة بتعاليم التوراة ويقول الصابئة الحران إنهم ليسوا الصابئة الحقيقية، وخلافاً عن الصابئة المندائية يتوجهون في الصلاة إلى جهة القطب الجنوبي (المدني، ٢٠١٨م: ١٣٨-١٣٦).

وقال الشهرستاني إنهم يعتقدون أنَّ للعالم صانعاً مقدساً عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلالته ويتم التقرُّب إليه عن طريق وسائط مقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون فعلاً وكما هو وافق رأي الفيومي (مكارم الشيرازي، ١٣٧٩ش:١/٢١١) عن خروجهم من الدين إلى دين آخر قال أيضاً: "الصابئة من صبأ أي إنحرف عن طريق الأنبياء وهؤلاء قوم أنحرفوا عن طريق الحق و دين الأنبياء فهم صابئة" (الشهرستاني، ١٣٦٤ش: ١٢٦).

أما الرَّازي فيقول هم من عبدة الكواكب ويستعين بقوله: "إنَّ مدبر هذا الكون وخالقه، هذه الكواكب السبع والنجوم" (الرّازي، د. ت: ٣٦٠-٣٥٥). ولكن الصحيح هو أنَّ الصابئة مؤمنون موحّدون وهم أصحاب عقيدة كتابية جاء بها النبي وهم غير قوم إبراهيم كما ظن الرازي. ونورد نصًّا قد ذكر في "الكنزاربا" يتناقض فيما نقل عن الصابئة: "لم أسجد للربَّين" (الكنزاربا اليمين، د. ت: ٧٤) والدليل أنهم كانوا من قوم إبراهيم فيذكر في القرآن عن عبادة الكواكب لأنها تفول فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ (الأنعام/٧٦).

تعليقًا على كلام الرازي؛ إذا كان يقصد الصابئة الحرانيين فهو كذلك، أما إذا كان يقصد الصابئة المندائيين فالأمر مختلف. والفارق بين الديانتين أنّ الحرانيين وثنيون يعبدون

الكواكب كما مرّ سابقًا، أما المندائيون فيضفون عليها صفة القداسة دون مستوى العبادة، معتبرين الكواكب مصدراً من مصادر الفيض الإلهي، ومن وجودات الله المقدسة. والشاهد على سقم كلامه ما ذكره الكتاب المقدس للصابئة المندائيين الموسوم بالكنزاربا، حيث جاء فيه: "لا تمجدوا الشمس والقمر وهو الله الذي أمر وكان لهما وللكواكب هذا الضياء، لكي يُنيروا به الظلماء فإذا نادى الحي العظيم، سقطت كلها في قرار بهيم" (الكنزاربا اليمين، د. ت، ٧٤). أيضاً يوجد دليل آخر وهو عبادة الأصنام أحدث من دين الوحدانية ولذلك يمكن أن نعتبر الصابئة، أصحاب دين موحد كتابي ولكنّ البعض يُصر على رأيه بأنهم "عبدة الأصنام وكانوا يعبدون النجوم عند ظهورها وأوجدوا حلاً لعبادتها عند غروبها عن طريق تصويرها فإذا جسَّدوها بأصنام وقاموا بعبادتها ومن هنا بدأت عبادة الكواكب (الخيون، ٢٠٠٧م: ٣٤).

٥- آراء بعض المفسِّرين القدامي والمعاصرين من الإسلام حول ديانة الصابئة

بعض المفسرين القدامي اتهموا الصابئة بأنهم قوم بين اليهود والمجوس ولا دين لهم وفقًا على الآية ٦٢ من سورة البقرة ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم (الطَّبري،١٩٦٦م: ١٤٦-١٤٥؛ الصنعاني، ٢٠١٥م: ١/٤٧). وبعضهم يقولون إنهم قوم عدلوا عن دين اليهود والنصرانية وعبدوا الملائكة (الزمخشري، ١٩٥٩ م: ١/٢٨٥). يقول السيد قطب: " في تفسيره ظلال القرآن في سورة البقرة عن الصابئين قوله: والصابئون إنهم تلك الفئة من مشركي العرب قبل الإسلام "البعثة النبوية الشريفة" الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها فاهتدوا إلى التوحيد وقال إنهم يتعبدون على الحنفية الأولى على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام دون أن تكون لهم دعوة، واعتزلوا عبادة قومهم دون أن يكون لهم دعوة فيها فقيل عنهم المشركون أي أنهم مالوا عن دين آبائهم وأجدادهم كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك وثم سمُّوا الصابئة وهذا القول أرجح من القول بأنهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير. و الآيات الثلاث تقر على ذلك (السيِّد قطب، ١٩٨٨م: ٩٧-١/٩٣).

وقال القرطبي: ((والذي تحصّل من مذهبهم -فيما ذكره بعض علمائنا - أنهم موحدون، معتقدون تأثير النجوم، وأنها فعالة.

بعض المفسرين يصرون بأنهم فرقة من أهل الكتاب (السدِّي، ابن منذر، إسحاق بن راهويه) وبعضهم يعتقدون بأنهم قوم يتركب باليهود والمجوسية (مجاهد، الحسن و ابن أبي جنيح) ولا تنكح نساؤهم (ابن عباس) (القرطبي، ٢٠٠٦م: ٣٧٤-٣٧٠) ويتضح مما ذكره القرطبي أنه الأقرب لفهم الديانة المندائية من غيره.

وقال الشيخ محسن قرائتي: قد كثر الكلام عن الصابئة وأنهم كانوا أتباع أحد الديانات السماوية إلا أنهم بمرور الزمان انحرفوا فبعض قال إنهم يعبدون الكواكب وقال قوم إنهم يعبدون الملائكة وقال آخرون إنهم أتباع نبي الله نوح عليه السلام وفي قول إنهم يدعون أنهم أتباع نبي الله يحيى عليه السلام ويرون للملائكة قدرة التدبير (قرائتي، ١٣٧٤ش: ٦/٢٧، ٢/٣٤١ و ١/١٢٨).

٦- آراء الصابئة حول الأديان السماوية وقادتها

بالنسبة إلى المسيح عليه السلام فإنَّ المندائيين يعتقدون أنه كان على دينهم ولكنه حرَّف كلمات النور وأبدلها بالظلام وغيّر دين أولئك الذين كانوا على دينه وبدَّل جميع الشعائر وأقام هو وإخوانه في جبل سيناء فدعوا لأنفسهم جميع الناس وجلبوهم لدينهم وأطلقوا عليهم اسم كريستيانا وسُمُّوا على اسم مدينة الناصرة (دراور، ٢٠٠٦م: ٤٦) بالنصارى وهي المدينة التي نُسب إليها النبي عيسى عليه السلام حيث اشتهر بالناصريِّ.

وأما بالنسبة إلى اليهود فإنهم يعتبرونهم أشد الناس عداوة لهم فهم يصفونهم بأنهم خبثاء وأنهم كانوا حليفي الروهة روح الشر والظلام بل إنهم جندها المطيعون وكان المصريون على دينهم وقد تعلّم موسى الذي تربّي مع الملك فرعون شيئًا من معارفهم وكان اليهود بصفة عامة يعبدون الروهة وأبناءها وخاصة يوريا (قوة من قوى عالم الظلام) ويجهلون النور وتعاليم النور (دراور، ٢٠٠٦م: ٢٧-٢٥). شدة معارضة اليهود تتجلى في أشعار الشاعر الصابئي المندائي عبدالرزاق عبدالواحد إذ نراه يقدم نقداً ذاتيًا لاذعًا لحكومة اليهود على العالم أجمع والعرب خاصة:

في سالف الأيام كان الغمام حيثما أمطر

خراجه لأهلنا يعود

في لاحق الأيام صار الغمامُ أينما أمطر

خراجه يعودُ لليهود"...

(عبدالواحد، د.ت: ١٧)

وبالنسبة إلى دين الإسلام والنبي محمّد ﷺ، فإنَّ المندائيين يحترمونه وأنهم قرأوا صفاته في كتبهم، ويسمونه عندهم ملك العرب أو محمد العربي من أحفاد إسماعيل (الحديث الرابع من أحاديث يحيي بن زكريا عليه السلام) وبالقائد العربي؛ فيعتقدون بآدم ونوح وإدريس وإبراهيم ويحيى المغتسل، تارة يحسبونهم من الأنبياء، وتارة من عباد الله الخُلّص الذين وصلوا بالرياضة والعبادة إلى مقام الزلفى و الإلهام (الخيون، ٢٠١٥م: ١٩٢-١٦٥). والمشهور عن الصابئة أنهم يوقرون الكعبة في مكة، ويعتقدون أنها من بناء هرمس أي إدريس عليه السلام وأنه هو الذي أنشأها أول مرة (العقاد، ٢٠١٢م: ٨٦ و ٨٧).

تعليقا على ذلك؛ هذا الإعتقاد للصابئة حول اليهود والنصاري وقادتها تنفي القول القائل بأنّ الصابئة مزيج من اليهود والنصاري أو أديان أخرى كما مرّ خلال البحث على القارئ الكريم بل نراهم بالعكس يكشفون عن عدائهم لليهود وزعمهم الباطل تجاه نبي الله عيسى عليه السلام، بينما نراهم كيف يمجّدون ويوقّرون شخصية نبينا محمد صلي الله عليه واله وسلم ونتوصّل إلى هذه المعلومة الدقيقة بأنّ ديانة الصابئة ديانة مستقلة وقد سبقت سائر الأديان السماوية بمن فيها الدين الحنيف الإسلامي حسب الأنبياء السبعة آدم وشيث بن آدم ونوح وسام بن نوح وإدريس وإبراهيم ويحيي الذين تارة يعتقدون بأنهم أنبياء وتارة عباد مخلصون و هؤلاء كلّهم قد سبقوا شريعة الإسلام وغيرها من الرسالات السماوية، كما نري القوم يخالفون آراء الإسلام بل نظريات سائر الأديان التي تقول بأنّ الكعبة شيّدت على يد نبي الله آدم عليه السلام ثمّ جدّد بناءها على يد نبي الله ابراهيم الخليل وولده اسماعيل عليهماالسلام، فلذا تراهم ينسبون بناء الكعبة إلى نبي الله إدريس عليه السلام.

٧- آراء أديان اليهود والنصاري وعلمائهم حول الصابئة

يقول مؤرخوا الروم للقرون الأولى إنَّ النصاري لم يذكروا يحيى وأتباعه بل حتى عيسى المسيح أيضًا لم يشيروا إليه بوضوح وهذا دليل على عدم أهميتهم للصابئة المندائيين أو لعلل كانت سياسية. ذكر عن النبي يحيي وتعميد أصحابه في الإنجيل متي: "أما الصبي فكان ينمو ويتغذي بالروح وكأنَّ البراري إلى يوم الظهور لإسرائيل" ولقد قال عنه السيد المسيح عليه السلام:

"بأنه لم يقم بين المولدين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان" (انجيل متي، ١١/ ١١).

إنَّ الصابئين طائفة دينية حيَّة لا يكشف أفرادها عن عقائدهم بسهولة ولا يوضحون طقوسهم بيسر (دراور، ٢٠٠٦م: ٢٤). لقد أشار الباحثون عن ديانة الصابئة من أهمهم الليدي دراور التي كانت مسيحية وقد درست ربع قرن عن الصابئة وهي تنفي عبادة الصابئة للأجرام السماوية ولكنها لا تنكر اعتقادهم بأنَّ الكواكب هي أرواح ثانوية وتقول: "الصابئون لا يعبدون الأجرام السماوية غير أنهم يعتقدون بأنّ النجوم والكواكب تحتوي مخلوقات حية وأرواحا ثانوية تابعة لأمر ملك النور (ملكا نهورا) وتتحكم بمصير البشر" (دراور، ٢٠٠٦م: ٢٧). ويظهر أنَّ بعض الباحثين الغربيين قد توصلوا إلى معلومات أكثر دقَّة. ولذلك نجد البروفسور أوليري يربط بهم أصل الصابئة بالجانب الجغرافي أنَّ الصابئين الحقيقيين كانوا في الجنوب الغربي وليس هناك ارتباط لحران بهم وأنَّ المندائيين الذين في جنوب العراق أصل معمدي الآبار المسيحيين الأوائل والكتّاب الربانيين الذين حصلوا على اسم المعتمدين، من تطهُّرهم المستمر كانوا يسمون بالآرامية (بالصابئين) (اوليري، ٢٠٠١م: ١٤٣-١٤٠).

منذ ظهور يحيى حتى ظهور الإسلام الذي استمر قرابة سبعمائة عام لم يتم القيام بأي نشاط خاص من قبل الحكومات والمؤرخين وعلماء الدين وآباء الكنيسة الكاثوليكية لتحديد هذه الطائفة الدينية. في استمرار لشريعة موسى المدرجة في التوراة، يشير إلى طائفة من اليهود يقال لها أسنى الذين آمنوا بممارسات الزهد الصارمة. وقد نسبت جماعة من العلماء يحيى عليه السلام إلى هذه الطائفة. كان من أهم أعمالهم الكتابة الدقيقة للنصوص الدينية، وتمّ اكتشاف مجموعة قيّمة من كتاباتهم مؤخراً في البحر الميت و المسماة (مخطوطات بحر الميت)، بسبب هذه المجموعة القيمة كشف العديد من العلماء أسراراً حول الجماعة التي تشبه إلى حد للمندائيين (المدني، ٢٠١٨م: ١٨٩-١٨٨). كما ورد ذكر الصابئة في التوراة تحت اسم سبا (saba) ضمن منطقة عين كارم في فلسطين والتي ترتبط بمكان ولادة النبي يحيى عليه السلام وفيها عدة كنائس مكرسة وفيه مكان للتعميد بالماء (المهداوي و عمران، ٢٠١٥م: ١٨٩).

يعتقد اليهود أنّ مقدمة الديانة الصابئة انتقلت إلى العلماء المسيحيين في القرن الثاني عشر من خلال العالم اليهودي العظيم إبن ميمون (Maimonides). قرقيساني (Qirqisani)، الباحث اليهودي الكارائتي من علماء القرن العاشر يكتب في كتابه الأنوار: الفلاسفة المسيح الجدد يدّعون أنَّ تعاليم التوراة بسبب غضب الله تعالى وشبهها لتعاليم

الصابئين أعطيت لبني إسرائيل والسبب لهذا الأمر هو مجاورة اليهود إلى جنب المصريين والتعرف إلى عاداتهم حيث تشبه عقائد الصابئين كثيراً (بنين، ١٩٩٣م: ١٤١). ولكن الباحث ابن ميمون يذكر سبباً آخر وهو التغيير الفجائي لطريقة بني إسرائيل وتحولهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الله تعالى لذلك قام نبي الله موسى عليه السلام وبني هيكل القربان حتى يعرف الربُّ الحقيقي لهم ويجعله مكان الآلهة الكاذبة التي افتعلوها وإن كان هذا الاستدلال لإبن ميمون فيه وقفة وتأمل (استرن، ١٩٩٨م) ويعتقد بأنّ الصابئة قوم مشركون وعبدة الأوثان كما يعتقد أنّ جيل الصابئة قد انقرض (ابن ميمون، ١٩٥٦م: ٣٦٨).!

بعد ذكر العلاقة بين الكلدائيين والصابئة، صرح جين بودين (Jean Bodin) أنّ تعاليم الصابئة كانت موافقة مع تعاليم اليهود والحاخامات اليهود (بودين، ١٩٧٥م: ٢).كتب إسحاق كاساوبون (Isaac Casaubon)، البروتستانتي الموسوعي، إلى معاصره العظيم يوستوس سكاليجر (Justus Scaliger)، يسأل عن رأيه في هذا الاسم الغامض، فقال سكاليجر يقينًا بأنَّ الصابئة كانوا من الكلدان (اسكاليجر، ١٦١٢م: ٣٤١)، إبراهيم عليه السلام كان من الكلدانيين و الصابئة أقدم ديانة كانت تعتقد بالكلدانية، وكان الكلدانيون شعبًا قديمًا أكّدهم التوراة (حبقوق ١: ٦ أو دانيال ٢: ٢) ومصادر كلاسيكية أخرى. وتذكر المصادر اليونانية والكتاب المقدس بأنّ الكلدان شعب ذو ديانة خاصة جداً في بابل ومهتمون بعلم الفلك والعرافة وعلم النجوم (رويتمن، ١٩٩٣: ١١٣). أيضًا وجد بعض العلماء نصوصًا في التوراة تقدم الصابئة جنبًا إلى جنب مع الكلدانيين الشرقيين (استيجينفلت، ١٦٦٢م: ٤٩-٢/٥١). اعترف جيل (Gale)، وهو قاض غير يهودي، أنّ الصابئة والكلدان والزرداشتيين كانوا جميعًا من المشركين، هم عبدة النجوم والكواكب والنَّار (جيل، ١٦٧٦م: ٧٣). دهربلوت ينقل إلينا بعد الأخذ والإلهام من نظرية أحد الكتّاب المسلمين إنَّ دين الصابئة ليس هو فقط أقدم الأديان وأوله بل هو الدِّين الجامع (المشترك) العالمي إلى زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام ومنشأ كل الأديان منه واستنتج من وراء ذلك أنَّ الصابئة ليست ملة أو قوما فحسب بل يشير إلى دين سماوي (هربلوت، ١٧٧٦م: ٧٢٦) ويقول همفري برايديوكس إنّ في تاريخ اليهود من عهد العتيق والجديد وملل الجوار تم تعزيز الاستنتاجات حول أصل الصابئة من اليهود (برايديوكس، ٢٠٠٩م: ٢٣-٢٢٢).

وفقًا لآراء لليهود، فإنَّ المندائيين هم جزء من الجالية اليهودية في بلاد ما بين النهرين

لكنهم تحولوا إلى بدعة. في الواقع، المندائيون هم من الغنوصيين اليهود الذين على الرغم من احتفاظهم ببعض المعتقدات اليهودية الرئيسية (الختان، الذبائح، أعياد ختام السنة و يوم السبت)، يرفضون اليهود ويعارضونهم بشكل قاطع (كينغ، ٢٠٠٣م: ١٨٥؛ ميك، ١٩٧٥م: ١٧٢)، وهذه المعارضة لها جذور شخصية وليست تاريخية (ام. سي. غراث، ٢٠١٠م: ١٠-١٢).

٨- نتيجة البحث

لقد خلقنا الله شعوبا وقبائل لنتعارف، ولم يميِّز شعبا دون غيره ولا قبيلة دون غيرها إلاّ بالتقوي، ولو شاء خالقنا لجعلنا جميعا أمَّة واحدة لكنه في حكمته جعلنا أُممًا وأنطقنا بألسن متعدِّدة. فإذا كان التعارف بين الشعوب وبين أتباع الديانات مقصداً من مقاصد هذه التعدُّديَّة. النتيجة هي أنه كلَّما تعمَّقنا في أبعاد وخصوصيات هذه الفرقة، كلما اكتشفنا أنَّ هناك أسراراً كثيرة لا تزال مجهولة.

يستنتج من هذه الأقوال والآراء كلها بأنها تشير بأجمعها إلى أنَّ المذكورين في القرآن من أهل الكتاب هم المندائيون ولكن بمرور الأزمنة انحرفوا عن الصواب وأخذوا يعبدون الكواكب ولعلّ هذا الإلتباس جاء بعد مجاورتهم للحرانيين أو ما نري النظريات التي إستندنا إليها في نص المقال تشير إلى أنهم ممن تكوَّنوا من الأديان السماوية الأخرى كاليهودية والنصرانية والمجوسية.

وهنا تطرح ملاحظات مهمة وتعليقات مفيدة ينبغي أن يشار إليها وهي كالتالي:

أولاً: أنَّ الإسلام نراه دائما يشجِّع على التسامح والإقبال على المحبة والود والوئام ويحارب التنافر والخشونة والغلظة، فلذا يريد من أتباعه أن يتحلَّوا بهذه السجايا والمثل الرفيعة، فإذا رأي شعباً مسالماً حسب القاعدة الفقهية، لا ضرر منه ولا ضرار على الإسلام وممثّليه وأصحابه، فإذن المفروض على المسلمين أن يقبلوا عليهم بما يرضاه رب العزة والجلالة وأكدت عليه الشرائع السماوية بما فيها دين الإسلام الحنيف حيث قال النبي محمد صلي الله عليه وآله وسلم: " أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض" وهذا أيضا ما جبلت عليه فطرة الإنسان السليمة، فهذه الطائفة من الصابئة المندائية لم نر منهم عند تعايشنا معهم طيلة هذه السنوات قد أساؤوا إلى الإسلام بمكروه أو أذي من قريب أو

بعيد وقد قمت بنفسي مع الأستاذ المشرف ومجموعة من الأصدقاء بالجولة الميدانية للبحث عن هذه الفرقة بالدراسة من قريب والتي التقيت بها مع بعض هؤلاء القوم خاصة كبيرهم ورئيسهم في مدينة الأهواز كنزورا نجاح الجيجيلي، لمست عن كثب هذا الواقع وعرفت أنهم أناس مسالمون يحبُّون التعايش مع البشرية كافة ويريدون لهم الخير ويتعاملون معهم بما يرضي ضميرهم الإنساني وخالقهم الرحماني، فشريعتنا السمحاء ترشدنا إلى تكوُّن العلاقة الحميمة والإنسجام الروحي مع الإنسانية جمعاء وهذا ما أقرَّه العقل السليم حيث جاءت في نصوص وقواعد أصول الفقه الإسلامي: "كلما حكم به العقل حكم به الشرع" فلذا العقل اللبيب والشرع الإسلامي يحثان على التعاون والتواصل لإكمال هذه المسيرة المباركة عبر الوحي المنزل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

ثانياً: لقد طالعنا أقوال الفريقين لجمهور القوم سنة وشيعة فضلا عن آراء مفكري اليهود والنصاري وشاهدنا هذا التضارب الفقهي والديني والبون الشاسع بين هذا من يمجِّد بالصابئة ويجعلهم في مرتبة القدِّيسين وبين من ينزلهم إلى الأسفل ويعطيهم مرتبة المنافقين وهذا التناقض في الآراء لا يبشِّر بخير وإنما يترك الفراغ الكبير بين شعوب العالم والحال أنَّ الله سبحانه أوجدنا لحكمة كما أشارت الآية المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ فهذا التضارب في الأقوال هو ناتج عن عدم معرفة هؤلاء العظام وارتباطهم بالصابئة عن قريب وإلا لو كان هذا التعامل موجوداً ونافذة الإطلاع على عقائد القوم مفتوحة على مصراعيها من قبل الجميع حتى بالنسبة للصابئة أنفسهم حيث لا يفتحون المجال للتعرُّف أكثر عليهم كما أنَّ دينهم مغلق لا يستقبل أناساً جدداً، لما وصل الأمر إلى ما لا تحمد عقباه.

ثالثًا: لو تأمَّلنا التاريخ وتصفَّحناه بإمعان لوجدنا أنَّ الإسلام لما جاء أخذ يطهِّر الأرض من الأرجاس والأدناس، حتى تقبل الشعوب صوت الإسلام المحمدي الأصيل بصفاء ونقاء وتنعم بخيراته وبركاته وترى عدالته كيف تنجذب إليه قلوب

استحوذ عليها الشيطان وأنساها ذكر الرحمن، فإسلامنا إسلام نقي وطاهر يريد تجسيد معالمه الكريمة لا كما يصوِّره البعض من السلفيين أو التكفيريين أو ما يسمُّون أنفسهم بالدواعش وهم يريدون تشويه سمعة هذا الدّين الجلي والسمح، فما نريد بيانه عبر هذا التعليق: إذا كان الإسلام طهَّر الجزيرة العربية بل كل البلاد من الشرك والكفر وأوصل إيدولوجيته إلى أقصي بقاع الأرض، إذا كانت الصابئة وثنيين أي مشركين وليسوا أهل ذمة ولا أهل كتاب فكيف يتركهم هذا الدّين هكذا من بادئ الأمر إلى يومنا هذا عبر ١٤٠٠ سنة وهل هذا يعقل أبداً دون أن يقول لهم شيئاً أو يوجِّه لهم كلمة أن ادخلوا إلى الإسلام أو فليكن لكم موقف آخر.

فعلي كل حال ما توصّلنا اليه بعد هذه الملاحظات من الدراسة تستنتج هذه الفكرة التالية عبر هذه الإحتمالات الثلاثة:

أولاً: حسب التفاسير المشهورة للآيات المذكورة بصدد موضوع الصابئة والروايات وأقوال المؤرخين من القدامي والمعاصرين للإسلام وسائر الأديان السماوية نتوصَّل إلى أنهم من أهل الذمة وتؤخذ منهم الجزية وبناءا على هذا فهم من أهل الكتاب.

ثانياً: عند هذا الإحتمال فقد تضاربت الأقوال في هذا الموضوع كثيراً بين مؤيِّد يميل إلى طهارة الصابئة المندائية وأنهم من أهل الكتاب أو بين من يؤكد على نجاستهم وأنهم ليسوا بأهل الكتاب أو شبهه، فلذا كفّة الشك والإرتياب والإلتباس قد زادت في هذا المجال وعند هذا الإحتمال فلذا ينبغي أن يوضع أمرهم أكثر على طاولة التشريح ليدرس بدقة و إمعان.

ثالثاً: الإحتمال الذي نتوصّل اليه من باب العقل أنَّ كل الأقوال المشار إليها في الكتب المقدسة ونظريات القوم لا تكفي وكما يقال بأنها لا تسمن ولا تغني من جوع حتى يجزم المرء على طهارتهم أو عدمها، فلذا نظل ننتظر الأحداث وآراء المستقبل لنرى ماذا يكتب عنهم وهل تبقي هذه الفكرة مضطربة هكذا أم تتغيَّر بمرور الزمن إن شاء الله تعالى.

قائمة المصادر و المراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

- الكنزاربا، اليمين.
- انجيل متي، ١١/١١.

الكتب المطبوعة:

- استرن، جوزف (١٩٩٨م). مشاكل و أمثال القانون: ابن ميمون ونهمانديس في أسباب الوصايا (Ta'amei Ha-Mitzvot)، ألباني، (بي نا).
- استيلينكفلت، ادوارد (١٦٦٢م). الحساب العقلاني لأسس الإيمان المسيحي، فيما يتعلق بالحقيقة والسلطة الإلهية للكتاب المقدس، والأمور الواردة فيه، المجلد الثاني، لندن، طبعة جامعة آكسفورد، ١٨٣٦: ٥١-٤٩.
- اسكاليجر، ابيستولا (١٦١٢ م). الصابئة، المجلد الأول، جولسون، ٢٦: ٢.
- الأشعري، سعد بن عبداللّه (١٣٦٠ ش). المقالات والفرق، تهران، شركت انتشارات علمي و فرهنگي.
- الألوسي، أبو الثناء محمود (بي تا). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ابن الرفعة، نجم الدين أحمد بن محمد (١٩٧١ م). كفاية النبيه شرح التنبيه في فقه الإمام الشافعي، ج ١٧، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن الفوطي، كمال الدِّين عبدالرزاق (١٣٥١ ه). الحوادث الجامعة و التجارب النافعة في المائة السابعة (لابن الفوطي)، بغداد، المكتبة العربية.
- ابن النديم، إسحاق (١٩٨٨م). الفهرست، تحقيق: رضا مازندراني، بيروت، دار الميسرة.
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (١٤١٦ق). تاريخ ابن الوردي، بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد على بيضون.
- ابن حنبل، أحمد (١٩٩٦ م). مسند، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله (١٩٩٢م). الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بيروت، نشر دار الجيل.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (١٩٦١م). أحكام أهل الذمة، تحقيق: صبحي صالح، دمشق، مطبعة الجامعة.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٩٩٢م). تفسير ابن كثير، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن ميمون، موسى (١٩٥٦م). دلالة الحائرين، مصحح: حسين اتاي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

- أبو يوسف، يعقوب القاضي (١٩٧٩ م). الخراج، بيروت، دار المعرفة.
- البغدادي، الخطيب (بي تا). تاريخ بغداد، بغداد، دار الكتاب العربي.
- ام. سي. غراث، جيمز. اف (٢٠١٠م). قراءة قصة ميرياي على مستويين: دليل من الجدل المندائي المناهض لليهود حول أصول وأصول المندائية المبكرة، الولايات المتحدة، كلية الآداب والعلوم الليبرالية، جامعة بتلر.
- اوليري، د لايسي (٢٠٠١م).كيف انتقل العلم اليوناني إلى العرب، (بي جا)، ناشر كلمة طيبة.
- آية الله التبريزي (بي تا). توضيح المسائل مراجع، (بي جا)، م ١٠٦.
- آية الله الخامنئي (بي تا). أجوبة الاستفتاءات، (بي جا)، س ٣١٣ و ٣٢١.
- آية الله السيستاني (بي تا). توضيح المسائل مراجع، (بي جا)، م ١٠٦.
- آية الله فاضل (بي تا). توضيح المسائل مراجع، (بي جا)، م ١٠٦
- آية الله نوري (بي تا). استفتاءات، المجلد الأول، (بي جا)، س ٣٨
- آية الله وحيد (بي تا). توضيح المسائل، (بي جا)، م ١٠٨.
- باكلي، جورون جاكوبسن (٢٠٠٢م). المندايين: النصوص القديمة والناس الجديدة، لندن، نشر جامعة آكسفورد.
- بدوي، نعيم والرومي، غضبان (٢٠٠٦م). الصابئة المندائيون، تأليف: الليدي دراوور، بغداد، دار المدى للثقافة و النشر.
- برايدوكس، هامفري (٢٠٠٩م). العهدين القديم والجديد مرتبطان في تاريخ اليهود، (بي جا)، المكتبة البريطانية، ٦٧٠ ص.
- بنين، إستفان (١٩٩٣م). آثار أقدام الله: التكيف الإلهي في الفكر اليهودي والمسيحي، ألباني: ١٤١ص (نقلا عن القرقساني).
- بودين، جين (١٩٧٥م). ندوة السبعة حول أسرار الجليل، ترجمة: ماريون ليذرز دانيلز كونتز، المجلد الثاني، برينستون: ص ٤٣.
- البيروني، أبوريحان (بي تا). الآثار الباقية عن القرون الخالية، بيروت، دار الفكر.
- توماس، ريجارد (٢٠٠٧ م). الجذور الفلسطينية لشعب المندائي، استوديا أنتيكوآ، المجلد الخامس، الرقم الثاني.
- جيل، تئوفيلوس (١٩٧٦م). محكمة الأمم، لندن، المجلد الثاني، طبعة جامعة آكسفورد، صص ٧٣-٧١.
- الجهني، مانع بن حماد (١٤٢٠ق). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، بيروت، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.
- الخامنئي، سيد علي (١٩٩٩م). الصابئة حكمهم الشرعي وحقيقتهم الدينية، بيروت، الغدير للدراسات والنشر، ص ٣٦-٣٨.

- الخوارزمي، محمد بن أحمد (١٣٦٨ ش). مفاتيح العلوم، ترجمة: حسين خديوجم، طهران، طباعة مركز الطباعة للعلوم والثقافة.
- الخوئي، سيد أبو القاسم (١٤١٠ ه).كتاب الطهارة، الجزء الثاني، قم، دار الهادي للمطبوعات قم.
- الخوئي، سيد أبو القاسم (بي تا).مصباح الأصول، الجزء الثاني، قم، دار الهادي للمطبوعات قم، ص ٥١٨.
- الخيون، رشيد (٢٠١٥م). الديانة المندائية مع الصابئة المندائيين في فقه وتاريخ الإسلام، الرياض، دار المدارك للنشر.
- الخيون، رشيد (٢٠٠٧م). الأديان والمذاهب في العراق، ألمانيا، انتشارات الجمل.
- دراوور، الليدي (٢٠٠٦ م). الصابئة المندائيون، ترجمة: نعيم بدوي وغضبان الرومي، بيروت، دار المدى للثقافة والنشر.
- دراوور، الليدي (١٩٧٣م). مندائيين العراق وإيران: طوائفهم، عاداتهم، سحرهم، أساطيرهم وفولكلورهم، لندن، نشر جامعة آكسفورد.
- دهربلوت، بارتلمي (١٧٧٦ م). المكتبة الشرقية، باريس، مكتبة كمباجين.
- الرَّازي، محمد بن أبي بكر (بي تا). مختار الصِّحاح، بيروت، دار الكتب العربي.
- الزمخشري، محمود بن عمر (١٩٦١ م). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، الدار العالمية للطباعة والنشر.
- زيدان، عبدالكريم (١٤٠٢م). أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، بيروت، مكتبة القدس، مؤسسة الرسالة.
- سباهي، عزيز (٢٠٠٨ ق). أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية. دمشق، مطبعة المدى، الطبعة الرابعة، ص٢٦٦.
- سيِّد قطب (١٩٨٨م). في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق.
- الشافعي، محمد بن إدريس (١٩٩٣م). كتاب الأم، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الشوكاني، محمد (٩٩٣م). نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، مصر، دار الحديث.
- الشيخ مفيد (١٤١٠ه). المقنعة فقه الشيعة إلى القرن الثامن، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة الثانية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم (١٣٦٤ش). الملل والنحل، قم، نشر الشريف الرضي.
- الصابوني، محمد على (١٩٩٣م). مختصر تفسير الطبري، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الصنعاني، عبدالرزاق بن همام (٢٠١٥م). المصنف في الحديث، القاهره، مركز البحوث و تقنية المعلومات، دار التأصيل.
- الصنعانى، عبدالرزاق بن همام (١٩٨٩ م). تفسير القرآن، الرياض، مكتبة الراشد.

- الطباطبائي، سيد محمد حسن (١٣٨٣ش). الميزان في تفسير القرآن، قم، جماعة المدرسين بقم المشرفة، مؤسسة النشر الإسلامي.
- الطباطبائي، سيد محمد حسين (١٣٧٥ق). تفسير الميزان، تهران، دار الكتب الإسلامية.
- الطباطبائي، محمد كاظم (١٤١٧ق). العروة الوثقى، قم، جماعة المدرسين بقم المشرفة، مؤسسة النشر الإسلامي.
- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (٢٠٠٦م). مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المرتضى.
- الطَّبري، محمد بن جرير (١٩٦٦م). تاريخ الملوك والرسل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف.
- الطوسي، محمد بن حسن (١٤٠٧ق). الخلاف، قم، جامعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي.
- الطوسي، محمد بن حسن (١٤٠٠ق). النهاية في مجرد الفقه والفتاوي، بيروت، دار الكتاب العربي.
- العربستاني، مهرداد (١٣٨٧ش). تعميديان غريب: مطالعه اي مردم شناختي در دين ورزي صابئين مندائي ايران، طهران، شركت نشر نقد افكار، سازمان ميراث فرهنگي، صنايع دستي و گردشگري.
- العقاد، عباس محمود (٢٠١٢ م). إبراهيم أبوالأنبياء، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- فروزنده، مسعود (١٣٧٧ش). دراسة عن ديانة الصابئة المندائيين، المجلد الأول، طهران، انتشارات سماط.
- قرائتي، محسن (١٣٧٤ش). تفسير نور، تهران، مركز فرهنگي درسهايي از قرآن.
- القرطبي، شمس الدين (٢٠٠٦م). تفسير القرطبي، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- قمي، علي بن إبراهيم (١٣٦٣ش). تفسير علي بن إبراهيم قمي، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الكاشاني، محمد بن شاه مرتضى (١٣٧٣ش). تفسير الصافي، تهران، مكتبة الصدر.
- كورت، رودلف (١٩٩٤ق). النشوء و الخلق في النصوص المندائية، إعداد و ترجمة: صبيح مدلول السهيري، بغداد، شركة مطبعة الأديب البغدادية المحدودة، ص ١٣-٧٠.
- كينغ، كارن ال (٢٠٠٣م). ما معنى الغنوصيّة؟، لندن، كمبريج، نشر جامعة هاروارد.
- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، (٢٠١٠م). الأحكام السلطانية، المحقق: أحمد جاد، القاهره، دار الحديث.
- محمد حسين فضل الله (بي تا). شرح المراجع،(بي جا)، ١٠٦ م.
- المدني، محمد نمر (٢٠١٨م). الصابئة المندائيون العقيدة والتاريخ، دمشق، دار و مؤسسة رسلان.
- مغنية، محمد جواد (١٩٦٨). التفسير الكاشف، بيروت، دار العلم للملايين.

- مكارم الشيرازي، ناصر (١٣٧٩ش). الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، قم، مدرسة الإمام على بن أبى طالب عليه السلام.
- مكارم الشيرازي (بي تا). شرح المراجع، (بي جا)، ١٠٦ م.
- ميك، وايـن (١٩٧٥م). هـل أنـا يهـودي؟ يوهـانين المسـيحية واليهوديـة "في المسـيحية واليهوديـة والعبادات اليونانية الرومانية الأخرى: دراسات لمورتون سميث في الستين، الطبعة السادسة، (بي نا)، صص١٦٣-١٨٦.
- النجفي، محمد حسن بن باقر (١٤٣٠ق). جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الهامي، داوود (١٣٧٩ ش). البحث عن الصابئة، طهران: نشر مكتب الإسلام.
- واحدي نيسابوري، على بن أحمد (١٤١٩ق). أسباب النزول، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الواحدي، على بن أحمد النيسابوري (١٩٨٥م). أسباب النزول، بيروت، دار و مكتبة الهلال.

المقالات

- الشاوراني، مسعود (١٣٩١ش). پژوهشي در فرقه صابئين، فصلنامه حبل المتين، پيش شماره سوم.
- المهداوي، على هادي، و عمران، أكرم عباس (٢٠١٥). ((الجذور التاريخية للصابئة المندائيين))، مجله كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد ٢١، جامعة بابل، صص ١٩٧-١٨٨.
- رويتمن، آدولف دي (١٩٩٤م). ((هؤلاء هم أحفاد الكلدان (جوديث ٥: ٦): شكله الأدبي وموقعه التاريخي))، مجلة الأدب التوراتي، ١١٣: ٢٥٦.
- زيدان، عبدالكريم (١٩٧٦م). ((أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام))، مجلة كلية الآداب عرض عقائد الصابئة الحرانيين، ١٩٧٦، ١٩، صص ١٥-١٣.
- عبدالواحد، عبدالرزاق (بي تا)، يوميات أعرابي، باريس، دليل للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط: ١٧
- كرايلينك، اس. اج (١٩٢٩م). ((أصل المندائيين وعصورهم القديمة))، المجلة الأمريكية: المجتمع الشرقي، ٤٩: ١٩٥-٢١٨.

المصادر الإنترنتية

- العساف، راشد، ٢٠١٨م، ((ديننا ممنوع في بلاد نبينا، موقع المندائيون في الأردن))،

https://ammannet.net

- فهيد، نسيم، ٢٠١٧م، ((موقع ماذا تعرف عن الصابئة أتباع النبي يحيي بن زكريا))،

https://www.noonpost.com/content/19420